## الرسالة

( غلاطية ٣: ٢٣–٢٩؛ ٤: ١–٥)

يا إخوةُ قبل أن يأتي الإيمانُ كنَّا محفوظين تحت الناموسِ مُغلَقاً علينا إلى الإيمان الذي كان مزمعاً إعلانَه* فالناموسُ إذاً كان مؤدِّباً لنا يُرشدنا إلى المسيحِ لكي نُبرَّرَ بالإيمان* فبعدَ أن جاءَ الإيمانُ لسنا بعدُ تحتَ مودِّبٍ* لأنَّ جميعَكم أبناءُ اللهِ بالإيمان بالمسيحِ يسوع* لأنَّكم أنتم كلَّكم الذينَ اعتمدتُم في المسيحِ قد لبستُم المسيح* ليسَ يهوديٌّ ولا يونانيٌّ. ليس عبدٌ ولا حرٌّ. ليس ذَكَرٌ ولا أُنثى. لأنَّكم جميعكم واحِدٌ في المسيحِ يسوع* فإذا كنتم للمسيحِ فأنتم إذاً نسلُ إبرهيمَ ووَرثَةٌ بحسبِ الموعِد* وأقولُ إنَّ الوارِثَ ما دامَ طِفلاً فلا فَرقَ بينَهُ وبينَ العبدِ مَعَ كونِهِ مالكَ الجميع* لكنَّه تحتَ أيدي الأوصياءِ والوكلاءِ إلى الوقتِ الذي أَجَّلَهُ الأب* هكذا نحن أيضاً حين كنَّا

## القديس يوحنا الدمشقي

في الرابع من شهر كانون الأول تعيّد كنيستنا الأرثوذكسيّة المقدّسة للقدّيسة العظيمة في الشهيدات بربارة، وللقدّيس يوحنا الدمشقي. يطغى على مجتمعاتنا التعييد للقدّيسة بربارة بسبب ما يترافق مع عيدها من مظاهر البهجة والفرح وعادة التنكّر، ليغيب عنّا ذكر هذا القدّيس. «الدمشقيّ» أو يوحنا الدمشقي نال الكثير من الألقاب لغزارة ما قدّمه للكنيسة وقد شُبّه في كثير من الأحيان بالذهبي الفم من حيث التعليم كما عُرف بـ«دفّاق الذهب» أو «ينبوع الذهب».

وصلنا القليل عن سيرة حياة هذا القدّيس من خلال ما أرّخه لنا الراهب ميخائيل السمعاني الأنطاكي. المعروف عنه أنّه إبن منصور بن سرجون. كان من عائلةٍ نبيلة عاشت في مدينة دمشق وقد اعتنى والده بتربيته وتعليمه على يد عبدٍ كان قد أعتقه ويُدعى قزما. أصبح هذا القدّيس من أعيان مدينة دمشق إذ ورث عن والده مركز وزيرٍ لدى الخليفة الأموي في دمشق، وقد كان ذائع الصيت حائزاً كلّ تقدير في ظلّ حكم الخليفة المسلم عبد الملك. جاهر يوحنا بإيمانه المسيحي ولم يشكّل له ذلك أيّ عائق. إشتهر بدفاعه عن الأيقونات المقدّسة ورفعها في الكنائس والمنازل وتقديم الإكرام لا العبادة لها. إلّا أنّ إمبراطور القسطنطينيّة المحارب الأيقونات دبّر له مكيدةً باتّهامه بخيانة أمرائه غير المسيحيّين بهدف التخلّص منه وإزالة آخر المدافعين عن الأيقونات. نجحت مكيدة الإمبراطور وأمر الخليفة بقطع يد يوحنا كعقابٍ له على خيانته وقد تمّ تنفيذ الحكم. أمام هذا الواقع رفع يوحنا الصلاة وبكى بحرارةٍ أمام أيقونة والدة الإله فاستجابت تضرّعه وأعادت يده إلى مكانها. جهاد القدّيس للحفاظ على التقليد الكنسي عبر تقديم الإكرام للأيقونات المقدّسة هدّد حياته، لكنّ والدة الإله، ومن خلال أيقونتها التي تضرّع أمامها، مدّت القدّيس بالشجاعة وأعادت يده بأعجوبة مانحةً إيّاه القدرة على تقديم التسبيح والإكرام لها. «يا يوحنا المثلّث السعادة، لمّا أخذتَ عربون الغبطة الأبدية من أم الإله، عن

**العدد ٤٩/ ٢٠١٦**

**الأحد ٤ كانون الأول**

**تذكار العظيمة في الشهيدات بربارة**

**وأبينا البار يوحنا الدمشقي**

**اللحن السابع**

**إنجيل السَحَر الثاني**

جهادك لأجل أيقونتها وأيقونة المسيح المولود منها وقدّيسيه، استرجعَت يمينك التي كانت قد قُطِعت معافاةً بكفِّها المكرَّمة، ونِلْتَ نعمةً وأفضتَ ينبوعَ النشائد العذبة وزيَّنتَ أعيادها بالتسابيح وأبهجتَ الكنيسة وظهرتَ مقدَّماً على جميع المترنمين، فلذلك بإزالة الحجب تنال الجوائز والمكافأة. والآنَ أنت مع الملائكة تترنّم بالنشائد والتسابيح وتبتهل من أجل نفوسنا» (من صلاة سَحَر عيد القديس يوحنا الدمشقي).

لم يكن غريباً على هذا الإنسان المؤمن أن يهبّ للدفاع عن الأيقونات إذ إنّ محاربيها اعتُبروا هراطقةً خارجين عن الإيمان. مواجهة البدع كان وما زال في صلب اهتمامات المؤمنين الغيارى على الكنيسة وتقليدها. جذر البدع والهرطقات هو الفهم الخاطئ والتفسيرات العشوائيّة لما كتبه وعلّم به الآباء القدّيسون. من هذا المنطلق كان اندفاع القدّيس يوحنا لجمع العقائد المستقيمة الرأي وعرضها في مجلّدٍ يلخّص فيه كلّ ما أتى على لسان اللاهوتيّين القدّيسين عن الإيمان القويم. وقد اشتهر الدمشقي بأنّه ملخّص الآباء وجامع التقاليد القديمة والحافظ لها. إعتمد أسلوب حفظ العقائد من خلال التراتيل وهو من أبدع في نظم الألحان الكنسيّة على النمط البيزنطي المعروف في كنيستنا، مرتِّباً ألحانها الثمانية التي ما زالت ترتّل بشكلٍ دوري إلى يومنا هذا. وقد قدّم للكنيسة ما لا يحصى من التراتيل والتسابيح.

من المعروف أيضاً أنّ المجمع المسكوني السابع (٧٨٧م.) إعتمد بشكل كبير على تعاليم وتحديدات وكتابات هذا القدّيس في صونها للعقائد ومعالجتها للجدالات اللاهوتيّة وخاصّةً في إقرار تكريم الأيقونات ورفعها في الكنيسة. القدّيس غريغوريوس بالاماس (ق.١٤) اعتمد كتابات الدمشقي في جدالاته اللاهوتيّة معتبراً إيّاه الناقل الأمين لتعاليم الآباء القدّيسين والمفسّر والموضّح لكلّ ما يصعب على المؤمن فهمه. عظته في التجلّي يعتبرها بالاماس خلاصة ومنارة للحقيقة المعلنة في الكنيسة مرتكزاً عليها في حديثه عن النور غير المخلوق الذي عاينه التلاميذ على جبل ثابور.

من بين ما قدّمه لنا القدّيس يوحنا من تعاليم شاملة، تحدّث في هذا الفصل عن الكواكب والفلك في كتابه «ينبوع المعرفة». نقع على بعض المواقف العلميّة التي نجدها اليوم خاطئة بعد التطوّر العلمي والإمكانيّة التقنيّة الحديثة. علينا أن ندرك بأنّ ما يذكره الدمشقي في هذا الإطار لا يمكن اعتباره هرطقةً بل يصنّف في مجال الخطأ العلمي. في زمنه لم يكن هناك تطوّر علمي وخاصّةً على صعيد المعدّات المستخدمة لمراقبة الفلك، والأبحاث في مجال الفلك لم تكن على التطوّر العلمي الذي وصلت إليه اليوم، ومن المعلوم أنّ العلم في تطوّر وتجدّد مستمرّ. بما كان متوفّراً من إمكانات قدّم الدمشقي نظرته عن الكون وقد كان ذلك إبداعاً في زمانه. كلّ تقدّم علمي يوضح أكثر فأكثر الرؤية والمعرفة ويفضي إلى فهم أفضل للعلوم. فالعلم في حال من التطوّر غير محدود ونجد دائماً دراساتٍ جديدة تدحض القديمة دون اعتبارها خطأً جسيماً، بل تطوّر النظريّات السابقة وتعرض لما هو حديث. النظريّات العلميّة محدودةٌ في زمانها وقابلة للتطوير، أمّا العقائد اللاهوتيّة فهي ثابتةٌ وغير قابلة للتغيير. لا تتغيّر ليس من حيث هي جامدة وغير متطوّرة بل لأنّها إعلان الروح القدس ولأنّ الكلّ

أطفالاً كنَّا متعبّدينَ تحت أركانِ العالم* فلمَّا حانَ مِلءُ الزمانِ أرسل اللهُ ابنَهُ مولوداً من امرأةٍ مولوداً تحت الناموس* ليفتديَ الذين تحتَ الناموس لننالَ التبنّي.

## الإنجيل

(لوقا ١٣: ١٠–١٧)

في ذلك الزمان كان يسوعُ يعلّمُ في أحدِ المجامعِ يومَ السبتِ* وإذا بامرأةٍ بها روحُ مرضٍ منذ ثماني عَشْرَةَ سنةً وكانت منحنيةً لا تستطيعُ أن تنتصبَ البتَّةَ* فلمَّا رآها يسوعُ دعاها وقال لها إنَّك مُطلَقةٌ من مرضِكِ* ووضع يدَيهِ عليها وفي الحال استقامَتْ ومَّجدتِ اللهَ* فأجاب رئيسُ المجمع وهو مغتاظٌ لإبراءِ يسوعَ في السبتِ وقال للجمع هي ستَّةُ أيَّامٍ ينبغي العملُ فيها. ففيها تأتون وتَسْتَشفون لا في يوم السبت* فأجاب الربُّ وقال يا مُرائي أليس كلُّ واحدٍ منكم يحُلُّ ثورَهُ أو حمارَهُ في السبتِ مِنَ المذودِ وينطلِقُ به فيسقيهِ* وهذه وهي ابنةُ إبرهيمَ ربَطَها الشيطانُ منذ ثماني عَشرةَ سنةً أمَا كان ينبغي أن تُطلقَ من

هذا الرباطِ يومَ السبت*
ولمَّا قال هذا خَزِيَ كلُّ مَنْ كان يُقاومه وفرح الجمعُ بجميع الأمور المجيدةِ التي كانت تصدر منه.

## تأمل

«فالناموس إذاً كان مؤدِّباً لنا يرشدنا إلى المسيح... ولما حان ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس».

إنّه الله الأحد المنادى به في العهدين، القديم منهما والجديد، والمسبَّح والممجَّد في ثالوثه، هو المقصود في قول الربّ: «أنا لم آتِ لأحلَّ الناموس والأنبياء لكن لأُتمِّم» (متى ٥: ١٧). فإنَّه هو نفسه الذي صنع خلاصنا الذي من أجله كان كل كتاب وكل سرّ. ويقول الرب أيضاً: «فتّشوا الكتب، فإنّها هي نفسها تشهد من أجلي». ويقول الرسول: «إنّ الله الذي كلّم الآباء قديماً في الأنبياء كلاماً متفرّق الأجزاء مختلف الأنواع، كلّمنا في هذه الأيام في الإبن» (عبر ١: ١–٢). فبالروح القدس إذاً قد تكلَّم الناموس والأنبياء والإنجيليون والرسل والرعاة والمعلمون.

إذاً فإنّ «الكتاب كلّه قد أُوحي به من الله. ومن ثم هو مفيد...» (٢ تيمو ٣: قد تمّ كما قال الإنجيلي يوحنا وقد أُظهرت لنا الحقيقة كاملةً بيسوع المسيح. في المسيح يسوع ظهر لنا الكمال وأدركنا المطلق بإدراكنا الله متجسّداً فحصلنا على ملء الحقيقة من خلال القائل إنّه الطريق والنور. بإرساله الروح القدس لنا معزّياً، إستمرّ إعلانه ووجوده الظاهر حسيّاً وإيمانيّاً في العالم. في هذا الإطار يلاحظ القارئ دقّةً لامتناهية في تعاليم الدمشقي حيث فنّد كلّ اللاهوت المتعلّق بالله والثالوث، وما يختصّ بالملائكة والخلق وعناية الله بخلقه. لهذا لم ينجح أحدٌ من المبتدعين أن يتعرّض للإيمان فالآباء المتقدّسون والممتلئون بالروح واجهوهم بالتعاليم الموحى بها من الله والتي كان لقدّيسنا النعمة بأن جمعها في «ينبوع المعرفة».

ليس غريباً على شرقنا، الذي قدّم للكنيسة أرتالاً من الشهداء القدّيسين، والآباء المدافعين عن الإيمان القويم، أن يقدّم للكنيسة قدّيساً جمع كل اللاهوت بدقّةٍ وفنّده وأصبح المرجع في كثير من الجدالات والصراعات اللاهوتيّة اللاحقة. بربارة القدّيسة التي جاهرت بإيمانها واستشهدت لأجله تترافق اليوم في عيدها مع يوحنّا لنحتفل بشهيدين كبيرين الأولى شهدت للمسيح بدمها والثاني شهد له بتعاليمه وحكمته.

## وجهك يا رب ألتمس

في عيد القديسة بربارة درجت العادة الشعبيّة أن يتنكّر الأولاد وأن يضعوا أقنعة ويدوروا في الشوارع وعلى البيوت مردّدين بعض الأغاني الخاصة بالعيد. هذه العادة وإن كان البعض لا يراها مفيدةً لكن الأولاد يفرحون بها ببساطتهم المعهودة. في المقابل نرى أننا نحن الناضجين نضع على وجوهنا أقنعة كثيرة من نوع آخر، وهذه الأقنعة المادّية وغير المادّية بعضها جميل وبعضها قبيح.

إنّ الإنسان بطبيعته كائن إجتماعيّ، لذلك هو يسعى طيلة حياته ليرسم صورةً لنفسه يقدّم ذاته من خلالها للآخرين. هذا لا يعني أن كلّ البشر ممثلون. فإن كان كاتب المزامير يقول: «أنا قلت في حيرتي إن كلّ إنسان كاذب» (مز ١١٦: ١١)، فإن الإنسان يبني نفسه خلال حياته، لذلك تراه متقلّباً إذ إنّه في بحث دائم عن الصورة المثلى التي يستطيع أن يلبسها. هذا الأمر ليس كلّه سلبيًّا، لأنّ الإنسان يولد حاملًا بعض الخصال الموروثة. لكنّ شخصيته وطباعه وقدراته تتطوّر بشكل يومي. من هنا لا يجد كثيرون الحديث عن معرفة الذات أمراً سهلاً لأن الذات متغيّرة.

في سعيه للظهور بمظهر محدّد، يركّز الإنسان على أمرين: المظهر الخارجي والمظهر الداخلي. البعض يركّزون على المظهر الخارجي لذلك تراهم يعملون المستحيل لتكون صورتهم الخارجية أمام الناس جميلة، وهم يختارون لذلك أفضل الملابس ويقفون أمام المرآة لساعات طويلة ويخضعون لعمليّات التجميل المتنوّعة. إنّ الاهتمام بمظهرنا الخارجيّ ليس أمراً سيئاً بحدّ ذاته، كون اللقاء الأوّل بين شخصين يكون عادةً من خلال النظر. ففي الجسد نلتقي مع الآخرين وعبره نتبادل وإياهم ما في داخلنا من أفكار وصور وأحلام ومشاعر وقيم... لكن إن توقّفنا فقط عند المظهر الخارجي ولم ننتبه لصورتنا الداخليّة نكون مثل «قبور مبيَّضة تظهر من خارج جميلة وهي من داخل مملوءة عظام أموات وكلّ نجاسة» (مت ٢٣: ٢٧). من هنا يجب أن نسعى إلى أن تكون شخصيتنا وأفكارنا وطباعنا

وقلوبنا جميلةً، فيتناسق بنياننا الداخلي مع الخارجي وينعكس ما في قلوبنا على وجوهنا.

يتحدث داود النبي في المزامير كثيراً عن وجه الرب وعلاقتنا به، لكنه في إحدى الآيات يصرّح بوضوح قائلاً إنّ على الإنسان أن يطلب وجه الرب: «قلتَ أطلبوا وجهي، وجهك يا رب أطلب» (مز ٢٧: ٨). وفي المزمور الخمسين يقول: «إصرف وجهك عن خطاياي وامحُ كلّ آثامي» (مز ٥٠: ٩)، ثم يستدرك: «لا تطرحني من قدّام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منّي» (مز ٥٠: ١١). نفهم من الآيتين الأخيرتَين أن المؤمن في علاقته مع الله يمرّ بنوع من الصراع، فهو من جهة يعرف أنّ وجه الله يرى كلّ شيء: «من وجهك أين أهرب» (مز ١٣٩: ٧)، ومن جهة أخرى يريد من وجه الرب ألا يرى خطاياه (بمعنى أن ينساها)، لكنه يعرف في كلّ ذلك أنّه يموت بعيداً عن وجه الله ويترجى أن ينظر إليه الرب دائماً بعين الرأفة.

في العهد القديم كان الناس يخشون الموت إن رأوا وجه الرب ومع ذلك رأينا الكثيرين ممن أحبوا الله يطلبون وجهه. أما في العهد الجديد فقد رأينا وجه الرب ولم نمت عندما تجسّد الرب يسوع القائل: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤: ٩). لذلك لا يتعذر على المؤمن اليوم أن يحدّد الصورة التي يجب أن يكون عليها. بولس الرسول يقول لنا: «لأنّ كلّكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غل ٣: ٢٧)، وهو يحدّد في مكان آخر كيف نلبس المسيح: «وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضاً الكلّ: الغضب، السخط، الخبث، التجديف، الكلام القبيح من أفواهكم، لا تكذبوا بعضكم على بعض، إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله، ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه، حيث ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري وسكيثي، عبد وحر، بل المسيح الكلّ وفي الكل» (كو ٣: ٨–١١).

عندما يلبس الإنسان المسيح، لا تلغي صورة المسيح صورته الشخصية كالقناع بل على العكس تعود بالإنسان إلى الصورة الأصليّة التي خُلق عليها والتي تشوّهت بالخطيئة. المسيح لا ينقّي صورتنا فقط بل يوصلها أيضاً إلى المثال الذي دعينا إليه وفي كلّ ذلك لا يلغي فرادتنا ولا يجعلنا مجرّد عددٍ لأنّه الراعي الصالح الذي يعرف أسماء خرافه الخاصة (يو ٣: ١٠)، والإسم يشير إلى فرادة كلّ شخص.

ألا أهّلنا الله أن نكون ممن يلتمسون وجه الرب والذين يسلكون بنور وجهه (مز ٨٩: ١٥)، حينئذ نستيطع أن نقول مع النبي داود: «أما أنا فبالبرّ أنظر وجهك، أشبع إذا استيقظت بشبهك» (مز ١٧: ١٥).

## عيد القديس نيقولاوس

بمناسبة عيد القديس نيقولاوس يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الإثنين ٥ كانون الأول وخدمة السَحَر عند التاسعة والقداس الإلهي عند العاشرة من صباح الثلاثاء ٦ كانون الأول في كنيسة القديس نيقولاوس في الأشرفية.

**بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:**
**www.quartos.org.lb**

١٦). لذلك يحسن ويفيد جداً البحث في الكتب الإلهية، فكما الشجرة، المغروسة على مجاري المياه، هي النفس أيضاً المرتوية من الكتاب الإلهيّ. تتغذّى وتأتي بثمر ناضج، أعني الإيمان المستقيم، وتزهو بأوراقها الدائمة الإخضرار أعني بها أعمالها المرضية لله. ونحن إذا سرنا على هدىً من الكتاب المقدّس نخطو في طريق السيرة الفاضلة والاستنارة الصافية، فنجد فيها مدعاةً لكل فضيلة ونفوراً من كل رذيلة. وعليه إذا كنّا نحب معرفتها تكثر فينا هذه المعرفة. وبالإجتهاد والكدِّ والنعمة التي يعطينا إياها الله يتمُّ إصلاح كل شيء. «لأنّ كل مَن يسأل يُعطى ومَن يطلب يجد ومَن يقرع يُفتح له» (لو ١١: ١٠). فلنقرع إذاً باب الكتب المقدّسة، الفردوس الأبهى الذكيَّ الرائحة، الفائق العذوبة، الجزيل الجمال، والمُطرب آذاننا بمختلف أنغام طيوره العقليّة اللابسة الله، النافذَ إلى قلبنا فيعزّيه في حزنه ويريحه في غضبه ويملأه فرحاً لا يزول.

القديس يوحنا الدمشقي